مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

دراسة لمقالات معاوية نور فى نقد شعراء مصر فى عصره

مجاهد على أحمد خليفة *

تمهيد :

واجه الشعر العربى منذ مطلع هذا القرن دعوات مختلفة قادها جماعة من الأدباء تشربوا بثقافة الغرب، وتعددت وجهات نظرهم فى هذه الدعوة، ولكنهم أجمعوا على محاربة الشعر التقليدى كما أصطلح عليه النقا. وقد وقع هذا الاختلاف فى وجهات النظر بسبب تنوع الأمزجة والثقافة المكتسبة. ولكن مما يلاحظ أن الاتجاه الغالب لهؤلاء الادباء هو الاتجاه الرومانسي الذى تميز بالثورة على القديم والتعلق بالطبيعة والتعبير عن الذات[1].

وظهرت جماعات مختلفة من الشعراء منها مدرسة الديوان ومدرسة أبو للو وبين المدرستين ظهر مطران خليل مطران الذى وصف بأنه رائد التجديد فى حركة الشعر فى تلك الفتره[2]. ثم توالت الجماعات وكثر إصدار الدواوين، ثم تحركت تبعا لذلك الأقلام الناقدة فى الصحف حتى تقوم بالدور المنوط بها.

وقد عاش معاوية نور في هذا الخضم، وأثرت عليه الآراء التى ظهرت على الصفحات الأدبية فى الصحف والمجلات، فجند نفسه لتقويم هذا التجديد على الرغم من نفور الكتاب الكبار من الكتابة فى الأدب المعاصر فى بعض الأحيان.

وبهذا يكون معاوية قد كسر الحاجز الذى طالما دعا النقاد لكسره، وهو الكتابة عن المعاصرين بالنقد والتحليل، فالأدب المصري فى رأى معاوية يخلو من الدراسات الفنية الوافية عن العقاد وطه حسين والمازنى فيما بينهم مثلاءوا إذا كتب أحدهم عن الآخر شيئا لا يكتب الا ملاحظة خاطفة او خاطرة سريعة. وقد تمثل

* استاذ مساعد-كلية الآداب – جامعة شندى

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

معاوية فى دعوته حال الأدباء فى انجلترا بل فى أوربا عموما، فالمعاصرون هم أصحاب أقلام خطيره توجه نقدها لأدباء العصر دون مجاملة. فالدوس هكلسى مثلا استطاع أن ينزل "تشالرز ديكتر" القصاص الانجليزى البارع من ربوته العالية، ووضح مواطن الضعف فى فنه بصدق هو أهم مميزات الأديب شاعرا كان أم ناقدا[3].

وبالفعل فقد كتب معاوية معظم مقالاته فى نقد أدباء عصره، العقاد، والمازنى وطاهر لاشين، وأحمد شوقى ،ومحمد حسين هيكل، وسلامة موسى وأحمد زكى، وعلى محمود طه، وا ٍبراهيم ناجى وغيرهم، وحاول فى كل ذلك أن ينزل كل واحد من ربوته العالية حتى تبين له نقاط ضعفه التى تعين بالفعل فى تطور الحركة الأدبية إذا ما استدركها الشاعر.

وجاءت أهم مقالات معاوية فى نقد الشعر مركزة على شعراء جيله الذين كانوا ينشرون أشعارهم حينها فى المجلات والصحف السيارة ثم يجمعونها فى دواوين صدرت هى نفسها فى تلك الفترة، ودرس معاوية أعلام شعراء أبوللو والديوان، أحمد زكى أبا شاديوا ٍبراهيم ناجى، وعلي محمود طه، والعقاد. فلننظر إذا في هذه المقالات النقدية لمعاوية حتى نتبين رؤاه النقدية للشعر المعاصر.

1- معاوية وأحمد زكى أبو شادي :

يعتبر أبو شادي واحدا من أعلام الشعر العربي فى بدايات هذا القرن، ومؤسسا لواحدة من أهم مدارسه، وهى مدرسة أبو للو. فقد جمع أبو شادي نفرا من الأدباء حوله وعمل معهم على نشر دواوينهم ونشر دواوين الشعراء الشباب الذين لا يجدون الفرصة لنشرها. وبذلك يمكن الإسهام فى مواصلة

الكتابة بتشجيع هذه الأقلام الشابه، وتم ذلك بإصداره لمجلة أبوللو في 1932م ثم تكوين جماعة أبوللو الأدبية التى تخصصت فى الشعر ونقده. وقد عرف أحمد زكى مؤسس هذه الجماعة بكثرة إنتاجه الشعرى، حيث أصدر مجموعة من الدواوين منها "أطياف الربيع" و" أنداء الفجر" و "عودة الراعى"و "الشفق الباكى" وغيرها [4].

قرأ معاوية ديوان أحمد زكى "الشفق الباكى" الذى يعتبر أضخم ما صدر فى تلك الآونه، وقرأ كذلك عددا من الدراسات المختلفة حوله فى الصفحات الأدبية وحاول معاوية الوقوف عند شاعرية أبى شادي من خلال قراءاته المتنوعة بين المصدر وحديث النقاد، كما سعى لإعانه القارئ على فهم هذه الشاعرية وتقويمها. وكان ذلك فى مقال كتبه عن هذا الشاعر.

ونشير أولاً إلى تشابه الدافع بين معاوية فى كتابته لهذا المقال وبين العقاد فى حملته على شوقى، فالضجة التى أثارها أحمد زكى فى هذا الديوان بما كتبه فى مقدمته وخاتمته، ووصفه لنفسه بالتجديد، ثم الحملة الصحفية التى صاحبت نشر الديوان، جعلت معاوية يصدر حكمه على شاعرية أبى شادى فيرى أنه لا يستحق هذه الضجة، فحمل عليها محاولا هدمها، والوقوف على حقيقة ماتثيره من آراء. مثلما فعل العقاد مع شوقى كقوله: (كنا نسمع عن الضجة التى يقيمها شوقى حول اسمه فى كل حين، فنمر سكوتا كما نمر بغيرها من الضجات فى البلد لا استضخاما لشهرته، ولا لمنعة فى أدبه عن النقد، فان أدب شوقى ورصفائه من أتباع المذهب العتيق هدمه فى اعتقادنا أهون الهينات، ولكن تعففا عن شهرة يزحف إليها زحف الكسيح، ويضن عليها ضن الشحيح، وتطول دفائن أسرارها ودسائسها طى الضريح. ونحن من ذلك الفريق من الناس

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

الذين إذا ازدروا شيئا لسبب يقنعهم لم يبالوا أن يطبق الملأ الأعلى والملأ الأسفل على تبجيله والتنويه به فلا يعنينا من شوقى وضجته أن يكون لها فى كل يوم زفة وعلى باب وقفة(5).

ولكن العنف الذى تميزت به حملة العقاد على شوقي تخطى المسائل النقديه الي المسائل الشخصية، فأفسد هذا التجاوز شيئا من قيمة هذه الثورة الأدبية. وقد نبه معظم الدراسين لذلك حتى أن أحد الشعراء قال فى هذه الحملة :-

شــوقى تولاه عبــاس فأظــهر واليوم أخمله فى النــاس عبــاس

وعباس الأول المعنى فى هذا البيت هو عباس الثانى خديوي مصر، أما الثانى فهو عباس محمود العقاد (6). ولكن معاوية كان معتدلا فى حملته على أبى شادي وحملته لم تكن كحملة العقاد على شوقي فرغم العنف الظاهر فى عبارته لم يتعرض لشخصية الشاعر بشئ من الإساءة والتجريح.

ركز معاوية فى نقده لأبى شادى على مادة شعره من غير أن يغوص فى قوالبه الشعرية، فانصب حديثه على موضوعات أبى شادى وكيفية تناولها. نهج فى نقده الطريقة الفنية أو الأدبية محللا مضامينه، ولم يقحم النظريات العلمية والفلسفية كما فعل مع أبى العلاء فى واحد من مقالاته النقدية.

ولم يتناول معاوية فى نقده لأبى شادى شعره بصوره جزئية، كالحكم على بيت أو قصيدة مثلاإنما نظر إلى الشاعر نظر ة شاملة من خلال ديوان شعرى كامل. وهنا لمحة تجديدية خلافا لما كان سائدا فى النقد القديم الذى وصف بالجزئية والانطباعية. وهذا المنهج الشمولى فى دراسة ديوان أبى شادى سيسهم إسهاما كبيرا فى الحكم عليه، لأنه يحمل سمات الشاعر وقدرا كبيرا من ثمار أفكاره.

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

أخذ معاوية أولا على أبى شادى ضخامة ديوانه، فضخامة الديوان عند معاوية لا تميز الشاعر ولا تؤكد قوة شاعريته التى تحدد بالنظر لإنتاج الشاعر نفسه، أى بالنظر للكيف دون الكم، حيث يقول(7):- (وأول مايروع القارئ من هذا الديوان هو لا شك ضخامته. وأظن شاعرنا قد ظن أن الإكثار فى النظم هو ميسم الشاعرية الصادقة. ولذلك فهو قد أصدر ديوانه على هذا الشكل، وأنت تقرأ الديوان من الجلدة إلى الجلدة. وقل أن تصادف فى هذا المقدار الضخم شعرا صحيحا).

وأخذ معاوية على أبى شادى كذلك المقدمات التى يكتبها لدواوينه وتدبيجها بفصول ختامية، فهذه المقدمات وهذه الفصول الختامية فى نظر معاوية قد تفيد فى فهم الديوان وشرحه، ولكن فائدتها مرتبطة دائما بصدقها فى الشعر والفن عموما. وهذا ما لم يفعله أبو شادى الذى كان يصف شعره بأنه أرقى الشعر، ويرى أن نقد هذا الشعر ضربا من الباطل لذا يخاطبه معاوية قائلا(8):- (بل يرغمنا على تقديره والإقرار به بما يكتبه من فصول فى صدر الديوان وفى خاتمته، وكانما يسوق القارئ من يده ويقول له فى كلام طويل "هذا ارقي الشعر، أقراه على هذا الظن " ولا ينتهى القارئ من تلاوة الديوان حتى يجده واقفا له عند الباب قائلا " ليس لك انت تحكم، هذا أرقى الشعر، وأى نقد فيه باطل" وبهذه الطريقه يظن أنه يؤثر فى قارئه).

وهذا النقد يتماشى تماما مع ثورة معاوية تجاه الأحكام النهائية. فأحكام أبى شادى حول شعره ليست بالأحكام النهائية التى يجب أن يسلم بها القارئ، وهذه الأحكام لا تطلق بهذه الصورة، فالقارئ هو الذى يتلقى أشعار أبى شادى ويحدد رؤيته حولها، ولا يحتاج منه فى ذلك إلى تقرير تلك الأحكام. وأخذ

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

معاوية على أبى شادى كذلك اعتداده بنفسه ووصمها بالتجديد، ووصفه لبقية الشعراء بالجمود والمحافظة على القديم(9).

وهاجم معاوية من منطلق مبدأ الصدق مضامين أبى شادي ووصفها بأنها غير جديرة بالشعر، وقسم ديوانه إلى ثلاثة أقسام كبيرة: أولها شعر المديح والتهانى، والثانى الشعر الاجتماعى، والثالث حديثه عن نفسه. ورأى معاوية أن كل هذه الموضوعات لا تستحق أن ينظم فيها شعر، فافتتاح مدرسة أو نادى أو غيرهما موضوعات ليست جديرة بالشعر. وعليه فقد قرر معاوية أن أبا شادى هو أكثر الشعراء ابتذلا للشعر حيث يقول(10):- (فأنت ترى فى مثل هذه الاقسام أن الموضوعات التى عالجها وأوقف عليها معظم نظمه، ليست بالموضوعات الشعرية، ولا هى من المواقف التى وضع الشعر من أجلها. أو يستقيم النظم الشعرى فيها. وماحاجة الإنسان لأن ينظم شعرا مايمكن أن يقوله نثرا عاديا يهنئ به صديقا أو يمدحه، فإننى لا أعرف أديبا معاصرا فى مصر ابتذل الشعر وموضوعه مثلما فعل أبو شادى).

ويدعم حكم معاوية على ماسماه أبو شادى فى ديوانه بالشعر الذاتى رأى أحمد الشايب الذى أشاد كثيرا بفن أبى شادي وا إسهامه فى الحركة الأدبية في مصر لكنه حينما أتى إلى الشعر الذي يعبر عن نزعات أبى شادي ذكر أنه لن يقف عند هذا النوع بالتحليل لأن أشعاره من الأشياء التى تخص الشاعر، لكنه عبر عنها بأنها فن جميل(11). فهذه العبارة يمكن أن نستشف منها أن للشايب آراء خاصة حول مضمين هذه الأشعار لم يرد التعبير عنها إنما اكتفى بالإشارة إلى أن هذه الأحكام لا تخصه. لكن طالما أن هذه المضامين خرجت عن الشاعر

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

ووقع عليها القارئ وجب على النقاد الوقوف عندها وتحليلها، فلا تكفى وقفة الشايب عند قالب الشاعر ومضامينه بهذا الحكم السريع.

ومن منطلق فلسفته الخاصة لمادة الشعر، ودعوته إلى اهتمام الشاعر بعكس رؤيته تجاه مضامينه وتجاه الاشياء التى يريد تصويرها، هاجم معاوية أبا شادي ورأى فيه بعدا عن طبيعة الشعر، وذلك لوقوفه عند الظاهر وعدم الغوص وراءه، فقد أخذ عليه تناوله العادى لموضوعاته. واستشهد لذلك ببعض أبيات أبى شادي شارحا بساطته فى التناول، ومن ذلك قوله:-

أهـــلا بعبـــد القـــادر * أهـــلا بـــأنس النـــادر

أهـــلا وأهـــلا ياصـــديق * الـــروح قبـــل دفـــاترى

وقوله:-

عـــرج علـــى لـسان اســتفيان * تلقـــى الحـــسان علـــى الحـسان

ووقوله:-

ارقـــصى يـــا غـــادتى * ارقـــصى يـــا فتنـــه

وقد علق معاوية على هذا البيت بقوله (12):- (فهل هى ترقص لانه أمرها؟ ام هى راقصة سواء قال هذا أو لم يقل، واى شعر فى أن تقول للإنسان ارقص وقم واقعد).

وأكد معاوية كذلك تلك الافكار التى ذكرها بأبيات أخرى لأبى شادى (13)، منها :-

لم ألـــق فى الـــدنيا عظيمـــا * أوفيـــه مـــن قلـــبى النظيمـــا

قبـــل المعـــلم متـــسفزا * مـــستقلا مســـتقيمـــا

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

وقوله فى استقبال " تاجور" شاعر الهند :-

أهـــــلا وســـهلا بالرســـول * الفيلـــــــسوف الـــــــشاعر

إن قيـل نوبـل قـــدر مثلـــك * فالنبالـــة أصـــل قـــــدرك

ولكل ماتقدم ذكر ه وصف معاوية الشاعر بالخطابية فى شعره واستشهد برثائه لوالده وبقصيدته فى افتتاح أحد الأندية. يقول معاوية (14):- (وهذا هو شأن أبى شادى فى أحسن منظوماته تكثر فيه الروح الخطابية، فهو كثيرا ما يستهمل قصائده ب (قم) و (كذا)!.. وما إلى ذلك من مثل هذه المطالع الخطابية الحماسية.. ولأبى شادى مرثية فى والده؟، فماذا قال وهو يقف أمام لغز الموت وسر الحياة. فيخاطبه قائلا.. قم يا خطيب وأين بيان سحبان من بيانك، ثم ذكر لهفة على فضله وخلقه وأدبه وعلمه ووده وشممه إلى آخر هذه الصفات التى تطلعنا بها الجرائد عن كل من يموت).

ورد معاوية على هذه النعمة الخطابية فى أبى شادى إلى عامل الوراثة، فالجنس العربى الذى ورث عنه الشاعر هذه الشاعرية وصفه معاوية بالمادية والأسلوب النارى، ووصف الروح العربية بأنها روح غير فنية لأنها لا تعبأ بالخيال وحكم معاوية على الشعر العربى كله بالخطابية(15). وهذا الهجوم لم يتميز به معاوية وحده، إنما كان صفة غالبة على المجددين المتأثرين بالثقافة الغربية، فالعقاد مثلا- وصف الجنس السامى بافتقاره للخيال الواسع الذى أسهمت البيئة فى وجوده عند الآريين،لذلك فهم أقدر على تصوير ظواهر النفوس وا إضفاء عنصر الحياة على موصوفهم. أما الساميون فهم أقدر على تصوير ظواهر الأشياء دون أن تنبض بالحياة فى أشعارهم(16). أما المازنى فقد

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

وصف الروح العربية بأنها روح ضيقة وعاجزة عن التصرف، ودلل على ذلك بالتقليد فى الشعر(17).

وهذا الهجوم له مبرراته التى من أهمها ارتفاع نغمة الشعر الذاتى والشعر المهموس(18). ولكن مع ذلك لا يمكننا التسليم بهذه الأحكام الحاسمة على أنها حقيقة قائمة تصدق على الشعر العربي جميعه دون أن يرد على ذلك، فالروح العربية مع غلبة الطابع المادي عليها إلا أنها لا تخلو من لمحة معنوية خيالية في الشعر، خاصة فى الشعر الذى عبر عن الذات فى تاريخ الأدب العربى الطويل، فالأسلوب الناريأو الخطابى يرتبط دائما بالغرض الشعرى(19). والشعر الصوفى- مثلا ومايحمله من ارتباط بالنفس تخلو نغمته فى الغالب من الخطابة المباشرة والتقريرية، لأن تأثير عاطفة الحب التى تميز بها الصفوية تبعث فيهم الأنين والحنين وتجعلهم يقبلون على المعاني التى تضيق اللغة البسيطة فى التعبير عنها. والعذريون يتميزون بهذا الضعف الذى يصيب الصوفية من جراء سيطرة المعانى الروحية عليهم(20).

لذا فالغزل يصبح هو ايضا بعيدا عن الأسلوب الناري، لأن الأسباب التى تحرك هذا الأسلوب فى نفس الشاعر قد انتفت، فهذا النوع من الشعر لا يقال ليلقى فى الاسواق حتى يثير الحماس فى وسط المتلقين، ولا من شأنه رفعة أحد الحكام حتى يضطر الشاعر للمبالغة والملق،وا ٍنما يتطلب الصدق الشعورى وصدق العاطفة، لأنه وليد عاطفة الحب التى تصور نفس الشاعر وذاته. بل يتخطى الصدق الشعورى إلى الصدق الفنى الذي يراد به القدره على التعبير الصادق فى براعة تمكن من المشاركة الوجدانية لدى المتلقي، بحيث يصبح التعبير هو تعبير عن عاطفة إنسانية خالدة(21).

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

وبهذا يمكننا ان نفسر اشادة المجددين و خاصة اقطاب مدرسة الديوان بشعر الغزل، فهو النمطط الشعري الذي يرضي ذوقهم الشعري، لانه يحوي معظم عناصر دعوتهم. و قد كان شكري اكثر اشادة بشعر الغزل، و كان يري انه ذو مكانة كبيرة في الشعر العربي فهو يعبر عن جميع العواطف النفسية (22).

ولم تقف هذه القضية عند معاوية و معاصرية بل واصل البحث فيها غيرهم من الدارسين و الباحثين. ومن هؤلاء محمد مندور الذي جمع رأيه في هذه القضية كل ما سبق ان أشرنا اليه حيث يقول (23):- (فنغمة الخطابة طاغية علي ذلك الشعر، و أروع قصائد الأدب العربي القديم تقوم علي توجيه الخطاب للانسان او الناقة او الدمن او الديار... وفي الشعر القديم ادق الوصف واروعه لعالمهم الحسي وما فيه من حيوان و جماد و ظواهر طبيعية، فضلاً عن الانسان و بخاصة المرأة و مواضع جمالها و فتنتها تبعا لذوقهم السائد. و بحكم غلبة التقليد في الادب العربي و الحرص علي عمود الشعر و قوالبه المتوارثة ظلت هاتان الخاصيتان غالبتين علي الشعر العربي في معظم عصوره.وا ٍذا كانت قد حدثت بعض التطورات مثل تغني الشعراء الغزليين في العصر الاموي بحبهم و شكواهم و لواعجهم، فعبروا عن بعض احاسيس النفس البشرية ووصفوها وصفا نفسيا جميلا. و إذا كان شعر الفكرة قد ظهر عند المتنبئ و أبي العلاء فان كل هذا لم يغير من الطابع من الطابع العام للشعر العربي الذي ظل في جملته شعر خطابة ووصف حسي).

وعبارات مندور السابقة اذا ما تأملناها جيدا نجدها تحقق ما هدفنا له، فعلي الرغم من ان مندور يؤكد غلبة الخطابة و الوصف الحسي إلا انه لم يطلق الحكم إطلاقاً و لكنه قال " ظل في جملته" و استثنى قبل تلك العبارة الشعر العربي الذي ظهر في العصر الاموي و شعر الفكرة الذى ظهر عند المتنبئ و أبي العلاء.

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

و هكذا نعود و نقول: وقف معاوية عند واحد من عمالقة جيله في اضخم ديوان له بهدف الوصول الي الحقيقة الضائعة بين كتابات مروجي هذا الديوان و دواوين شعراء آخرين كما سنري وقد بصّر معاوية القارئ ببساطة شعر أبي شادي و بعده عن الطبيعة الشعرية من خلال مناقشة مضامين أشعاره و كيفية التعبير عنها.

2- معاوية و الشاعران ابراهيم ناجي و علي محمود طه:

مقالا معاوية عن ابراهيم ناجي و علي محمود طه (اصدقائي الشعراء- هذا لايؤدي "1-2") لم يخرجا كثيرا عن اطار النقد الذي وجهه من قبل لأحمد زكي. و لكن ما يلاحظ علي المقالين انهما تعمقان في التناول، و اضافا عنصرا جديدا عمق رؤية معاوية في مبدأ الصدق وهو وعي العصر (مصطلح أطلقه معاوية سيرد معناه). و لعل هذا كان بسبب تأخر هذين المقالين، فقد كتبا في 1934 اي قبل توقف معاوية بشهور قليلة.

واصل معاوية كذلك في منهجه التجديدى بالتناول الشمولي في المقالين لمجموعة من الاشعار التي صدرت مؤخرا لكل شاعر منهما، فقد درس ابراهيم ناجي من خلالال ديوانه "وراء الغمام" و درس علي محمود طه في ديوانه " الملاح التائه". وقد ركز معاوية في دراسته لهما علي جانبين هامين هما مادة الشعر ووعي العصر (24).

لاحظ معاوية ان "وراء الغمام" قد دارت معظم قصائده حول الحب و " الملاح التائه" دارت معظم قصائده حول الطبيعة، فاصطلح علي تسمية اول الشاعرين بـ " شاعر الحب" الثاني بـ " شاعر الطبيعة". و مضي بعد ذلك يبحث عن مفهوم كل واحد منهما لموضوعه. اما وعي العصر فاراد به معاوية ان يتناسب مستوي التعبير عند الشاعر طرديا مع مستوي فهم المتلقي العصرى الذي اثارته انماط التفكير المختلفة، و الانتاج الفني و التأمل في عصر تعقدت

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

فيه الحياة و تلاحقت الثقافات. يقول معاوية (25):- (والمفروض بالبداهة ان مثل هذا الشعر يكتب ليقرأه الرجل المصري او العربي المثقف الملم بشئ من حضارة هذا العصر و ثقافته، الشاعر "بوعى" هذا الزمن الذي يعيش فيه، والذي تشغله مناظر وآراء و مسائل تثير شكوكه او تبعثه علي التفكير و التأمل و الانتاج الفني).

وقد اخذ معاوية علي هذين الشاعرين ما اخذه علي احمد زكي من سطحية التناول و الوقوف عند النغمة الاولية. و لكن الفرق بين هجومه علي ابي شادي و هجومه علي صديقيه هو اكتفاؤه بالهجوم علي كيفية التعبير عن الحب او الطبيعة دون مهاجمة الموضوع نفسه و اعتباره خارجا عن دائرة الموضوعات التي تصلح للتعبير عنها بالشعر. فهما – كما يرى- يصلحان للشعر و لكن يصبحان أجدر به اذا توافر عمق التناول.

فالحب عند معاوية هو حاجة فسيلوجية كالاكل و النوم و لكن اختصاصه بالنشيد او الشعر او الغناء هو في البحث عما ورائه و النظر اليه بعمق، فالشكوي و الحديث عن لواعج الاشجان و امراض القلب او النفس ماهو الا حديث عادي يشبه حديثك عما تحب من الاكل وما تستهجن من الملابس. و لكن ما اراده معاوية هو ان تكون التفافات الشاعر حول الموضوع التفاتات غير عادية يكشف لنا الشاعر من خلالها معنى ً و نغماً جديدا يتعدي الاهتمام بالمظاهر الخارجية للموضوع الي البحث عما ورائه، وحتي و ان لم يتفق القارئ مع افكار الشاعر و خواطره في هذا الموضوع فما عليه الا ان لم يتفق القارئ مع افكار الشاعر و خواطره في هذا الموضوع فما عليه الا ان يسلم لا محالة بان في هذا الشعر شئ جدير بالعناية. ومن هنا فان موضوع الحب اذا ما ارتبط بهذا الشكل التعبيري الذي دعا إليه معاوية فانه سيصبح بالفعل موضوعا جديرا بالشعر .(26)

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

ثم يجعل معاوية من شعراء الغرب أنموذجا يؤكد به فكرته، فابراهيم ناجي رغم قراءته لشعراء الغرب الذين داروا حول فلك الحب أمثال " لورنس" و "ت. س. إليوت" إلا انه لم يستفيد من تلك القراءات، لأنه هؤلاء عبروا النظرة الاولية و تعمقوا حتي اقتربوا من المعاني الصوفية في كتاباتهم في هذا الموضوع الشعري، فباتوا يفتشون عن الله و يبحثون عن النشوة و العفاف الروحي ثم يعودون بالتعابير الجميلة الجيدة يعود الواحد منهم كما قال معاوية (حقيبة وعيه ملأى بالاحاسيس المختلفة، و الافكار المريرة او العذبة و ملأى بالثعابين التي تبرق كاللؤلؤ او غيرها) (27).

وهنا ينقل معاوية لابراهيم ناجي و غيره مقاطع من أشعار هؤلاء الغربيين حتي يبين ما تحتويه هذه المقاطع من شحنات معنوية تدل علي فكرته، و تنفع في توجيه هؤلاء الشعراء نحو التعبير الصحيح الذي يرتضيه. ومن ذلك قوله في عودة الشعراء من نشوة العفاف الروحي وحقائب وعيهم ملأى بـ" السحر الذي يري القمر في امسية حب أشبه ببالون يلعب به الصغار" فهذه مقاطع من قصيدة لـ " ت.أ. هيوم" بعنوان "لدي المرسي" تقول:

لـــدي المرســـي الهـــادي عنـــد منتـــصف الليـــل

مـــشتبكا في حبـــال أعلـــي الـــسارية الـــسامقة .. تـدلى القمـــر

و ان ما بدأ نائيـــا جـدا لـيس غـير بـــالون طـــفل منـسي بعد اللعب

كذلك " المساء الذي ينام كرجل عليل" هو تعبير من قصيدة لـ "ت.س. إليوت" بعنوان "اغنية حب – ج الفرد بروفروك" (28).

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

وفي آخر مقاله الاول لخص معاوية رايه في الشعر ناجي "وذكر ان شعره إذا جرد من الصناعة و القافية لما تخطت معانيه النغم الاول الذي أشرنا إليه مجملا في مقاليه عن الشاعرين موضع الدراسة. يقول معاوية (29):- (وشعر صديقنا ناجي ما زال نغما واحدا بسيطا لا يتعدي – بعد زخرفة النظم – إحساس رجل عادي عندما يري وجها مشرقا او جسما نحيلا، او عملا عظيما، فيقف مشدوها فيقول "ما احلي ذلك الوجه، و اي الم احس به لحرماني من ذلك الشكل البديع " الي آخر الاحاسيس التي تحسها اي مادة تحس، و انها لتبدو في برئتها و طفولتها بما يسمى رد الفعل (Reflexation). و ليصدقني القارئ ان هذا هو كل ما يخرج به الانسان من شعر ناجي بعد تجريده من صناعة "الكلم" و رنين القافية).

وما اخذه معاوية علي ابراهيم ناجي هو عينه ما اخذه طه حسين عليه، فقد أشاد طه حسين بناجي و شعره إلا انه أخذ عليه عدم تعمقه و سعته، و شبه شعره بما يسمي في الغرب بموسيقي الغرفة المظلمه التي تقل عن الموسيقى الكبري التي تذهب بالنفس كل مذهب (30).

ثم اخذ معاوية علي شعر علي محمود طه نفس العيوب التي اخذها علي ابراهيم ناجي، فاذا جرد شعر المهندس من الصنعة الجيدة اتضحت جليا – عند معاوية – بساطته و سذاجته. ورد ما يلقاه شعره من اشادة و قبول من الناس الي حسن الصنعة و الصقل (31). و ربما يعني ذلك ان معاوية لا يرفض الصنعة. فكيف يرتضيها اذا وهو أكثر إشادة بالالهام؟.

لم يرفض معاوية الصنعة مطلقا، انما يرفضها اذا اصبحت هدفا في ذاتها. اما اذا لم يتكلف الفنان في صنعته ولم يستعرها من احد، و كان صادقا في شعوره

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

و تفكيره فهو فنان مجيد، لذلك فالاحرى بنا عند معاوية أن نمدحه لا ان نذمه مثلما فعل سلامة موسي مع العقاد المازني حينما عاب عليهما صنعتهما(32).

أخذ معاوية على المهندس غرامة بـ" الشعريات" اي وقوفه عند مظاهر الطبيعة التي اصطلح عليها الناس و أكثروا من ذكرها، لتعليقهم مثلا علي الليلة المقمرة بانها ليلة شعرية، حيث يقول معاوية في ذلك(33):- (علي محمود طه يكتب عن الطبيعة و يستوحي النهر و البحر و الغدير و القمر الاشباح الرياض و الشفق، و يفهم ان "الطبيعة" التي يجدر بان تنتظم شعرا هي الطبيعية في أضخم مظاهرها و اعظمها و اوقعها في الحس، و اشدها رائحة، و اهولها منظرا!و هو لا يفهم هذا الفهم ولا يتجه اليه لان مزاجه هكذا، و لكن لان هذه الاشياء قد كثرت في الشعر و اصبحت معروفة و معترفا بها علي انها تصلح موضوعاً للشعر، ولو لم يحس الاديب تجاهها بأي شعور غريب أو نظر حديث).

ومما سبق يتضح ان معاوية يري ان الطبيعة المتعارف عليها يصبح جديرة بالشعر او تصلح موضوعا للشعر، بشرط ان يحس الشاعر بها احساسا حقيقيا، كما يجب أن لا يقف عندها وحدها فيتدث عن البحر و النهر و القمر و غيرهم، فمظاهر الطبيعة لا تقف عند هذه " الشعريات" بل ان كل ما يقع تحت عين الشاعر من مظاهر كونية هي تصلح لان تكون موضوعا شعريا. و قد نبه معاوية الي مثيرات عدة صالحة للشعر منها الشارع الذي تصقله مصلحة التنظيم، و الذباب الذي يطن علي جبنه عفنة، و قطعة الحديد التي اكلها الصدى، و ضجيج الطرام و غيرها (34).

فمعاوية يريد من المهندس ان يوسع دائرة نظرته نحو الطبيعة، ولا يقف عند المظاهر الكبري التي عرفها البشر منذ ادم، فالمظاهر الرومانتيكية التي ولع بها

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

المهندس يسهل فيه العبس، و تندر فيها الاجادة، و يتجه نحوها في الغالب الاديب قليل الحيلة (35).

ومرة اخري يؤكد معاوية ضرورة الاستفادة من الرومانتيكيين الغربيين، حيث اشاد باسلوبهم في الحديث عن هذه المظاهر، حتي يتثني للمهندس ان يري التعمق في ما وراء هذه المظاهر الطبيعية محاولاً الخروج من قوقعة ما اصطلع علي تسميته بالطبيعة. يقول معاوية (36):- (و كثير من شعراء اوربا المعاصرين اقتربوا من الموضوعات الرومانتيكية باسلوب جديد، فبدلا من الحديث عن سحرها و خوفها و هولها تراهم يحاولون تفسيرها و النظر اليها من خلال شعور و عقلية رأت و سمعت و قرأت ما يجعلها تنظر الي هذا الجمال و الهول و الخوف من زوايا جديدة ليس فيها ذلك الجهل الناطق، فان كل شئ لا يعرفه الانسان يبدو له سرا تحار فيه الاذهان و لو كان من ابسط البسائط).

ثم يورد معاوية مجموعة من اشعار المهندس اختارها من بعض القصائد، و علق من خلالها علي هذه القصائد، و ذكر انه لم يختر او ينتق من ديوان المهندس ما يدعم رأيه، انما تم الاختيار بصورة عشوائية حتي يدلل علي انه يمكن الاستشهاد بالديوان جميعه فهو في مجمله يقوم دليلاً علي صحة فكرته(37).

ومن ذلك قول المهندس:

ورب ليـــل مـــــــر امـــــضيناه ضـــــماً و عناقـــــــا

و ادرنـــــا مـــــــن حـــديث الحـــب خمـــراً نتـــــساقى

مـــن طـــــريق ضـــــرب الزهـــــر حواليـــه نطاقـــــا

و تجلـــــي الـــــبدر فيـــــــه وصـــــــفا الجـــو و راقـــا

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

وقد علق معاوية علي هذه الابيات بقوله (38) :- (فاذا كان هنالك حب و ضم و عناق و زهر و بدر و جو رائق، فالانسان العادي ليس به حاجة ليحس بنشوة ادمية حسية من غير ان ينظم له هذا الكلام شعرا. و ان اي افريقي في ادغال افريقيا حينما يصفو الجو، و ينمو الزهر، و يشرق البدر، و يحب امرأة يستطيع ان يقول هذا الكلام).

و اخذ معاوية علي المهندس كذلك بساطته في قصيدة "الله و الشاعر" و استشهد منها بقوله(39) :-

مدي لعينيه الرحـــاب الفـــــساح ورقرقـــي الاضـواء في جفنـــه

و امسكي يا ارض عصف الريـــاح والراعـــد المغـضب في اذنـــه

اما ابيات المهندس:-

مـــر بنـــهر دافـــق سلـــــسبيل تهفـــو القمـــاري حولـــه شـــادية

في ضـــفتيه باســـقات النخيـــل ترعـــي الـــشياه تحتـــها غانيـــة

فقد علق معاوية بقوله (40):- (فاذا كان هذا النهر ملحا مثلا، و كانت هنالك ضفاضع علي حوافيه؟، واحجار تدمي الاقدام بدلا من النخيل، فليس هنالك طبيعة تجدر بالشاعر و الشعر).

ان معاوية يريد من الشاعر ان يعكس مظاهر الطبيعة من خلال نفسه، و عليه في هذه الحالة ان يكوون جميلاً حتي يبدو كذلك ما هو معروف عنه في الواقع بانه قبيح او غير مقبول حين يلمس شغاف هذه النفس الجميلة.

و يدعم رأيهم هذا ذلك المثال الذي صاغه في بداية مقاله "الذوق الادبي"، عن الكلب الميت في قـارعة الطريق و الذي يمـر من حـوله الناس في اشمئزاز

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

و ضجر، حتي مر به جمع فيه رجل صاحب نفس جميلة، فاستوقفهم ذلك الرجل و قال لهم "انظرا الي تلك الاسنان اليست هي الدر النضيد! " (41).

والدعوة لعكس الشاعر للطبيعة او غيرها من خلال الجمال القائم في نفسه، او المثال المختزل في عقله راجت عند بعض النقاد المجدين، نذكر منه عبدالرحمن شكري الذي ذهب الي ان الشاعر المتغزل لا يتغزل بمحبوبته حقيقة انما يتغزل بالمثال الذي يملأ ذهنه لهذه المحبوبه، فقيس مثلاً ربما شبب بليلى التي في دنيا نفسه لا بليلى العامرية (42).

واخذ معاوية عن المهندس – ايضا- اعتداده بشاعريته، و احساسه بانه شاعر لانه ملأ ديوانه " بالشعريات" المتعارف عليها. و استشهد معاوية لذلك بقصيدة " ميلاد شاعر" التس تزخر بتمجيد المهندس لنفسه، و اعتداده و شاعريته(43).

اما معطيات العصر فان معاوية يري ضرورة الاستفادة منها، لذلك تجدهم ينعت المهندس و ناجي بالتقصير في هذا الجانب لتحدثهما عن الليالي الحالمة، و الانوار الاخاذة، و عن الاحاسيس الرقيقة، دون ان يثيرهم الصحاري العارية، و الظلمات الحالكة. وهنا يخاطب معاوية جميع الشعراء الرومانتيكيين الذين امتلأت بهم الساحة الادبية في تلك الفترة و لم يحصر خطابه علي المهندس و ناجي فقط، لكن جاءت عباراته في هذا الجانب بصيغة الجميع لا بصيغة التثنية. وقد علق محمد عبد الحي علي هذا الجانب في نقد معاوية حيث يقول (44):- ("الوعي بالعصر" محور مقالة معاوية و القياس الذي يقيس به الشعر شكلا و مضمونا فهو عنده المظهر الذي يتم فيه تكوين المادة الشعرية و تحليلها، و البصر الذي ينفذ الي المظاهر الساكنة المطمئنة الي "عوالم داخلية مروعة"، و يرى

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

"التشابه في الاشياء و مظاهر بادية الاختلاف " و مركز الحساسية الفكرية و الشعورية المعقدة التي تخلق في حياة الشاعر ما يشبه الصحاري العارية الجرداء أو الظلمات الحالكة " او " البريق الخاطف" و تجعله يعاني من عواطف الفكر العالمى المعاصر).

هذا وقد حاول الناقد محمد عبد الحي ان يبحث عن مصادر معاوية في نقده للرومانتيكيين و في دعواته للوعي بالعصر. ورد أفكار معاوية إلي مصدرين: أولهما كتاب الناقد الانجليزي "ف.ر ليفيز" اتجاهات جديدة في الشعر الانجليزي " الذي اصدر في عام 1932 و ثانيهما ما ورد من اشارات او عبارات بين ثنايا سطور مقاليه عن المهندس و ناجى، كان قد وضعهما بين قوسين، وهي عبارة عن اشعار لبعض الشعراء الرومانتيكيين الانجليز سبق وان اشرنا اليها.

اما كتاب ليفيز فيعتبر من الكتب المهمة في تاريخ النقد الحديث في انجلترا، فقد حاز هذا الكتاب علي الاحترام الاكاديمي، لبحثه في اشعار المجددين من الشعراء الانجليز امثال "ازرا باوند" و اليوت و غيرهما. وقد اعترف هذا الكتاب بشاعريتهم و بتجديدهم و اصالتهم. أتي الفصل الاول من هذا الكتاب بعنوان " الشعر و العالم الحديث" ومركزا علي ترك " الشعريات" التي تعارف عليها الناس، و دعا الي ضرورة الاستفادة من معطيات العصر. و هذا هو ما دعا إليه معاوية. قد ذكر عبدالحي أن ليفيز قد رد التعلق بالشعريات الي الفصل بين الفكر و العاطفة في الخلق الشعري(45). وهذا الاثر واضح في حديث معاوية عن الصدق و القالب الشعري.

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

وتأثر معاوية بليفيز غير مستبعد لما عرف به من سعة الاطلاع ومن حبه للادب و النقد الانجليزي – أما تأثره بشعراء الانجليز فهو واضح لا يمكن انكاره.

ولكن ما يمكن ان يضاف هو ان مصادره يمكن ان تتسع أكثر من ذلك باضافة ما تكون في نفسه بحكم اطلاعه الواسع في فلسفة الفن، و خاصة تأثر ه بالجماليين الذي يمكن ان يصبح عاملا هاما في افكاره حول مادة الشعر ووعي العصر. ثم ان فلسفته في هذا الجانب لم تظهر من خلال هذين المقالين وحدهما بل ظهرت بوادرها في نقده لأبي شادي كما اشرنا.

ودراسة معاوية لإبراهيم ناجي و علي محمود طه كانت كأنها درس لكل شعراء الرومانتيكية في تلك الفترة، و قد ظهرت الرومانتيكية خلال النظرة الصادقة لعناصر الطبيعة و لمعطيات العصر. وهذه النظرة امتازت بمعالجتها لما تحدث عنه ليفيز من الفصل بين الفكر و العاطفة الي الربط بينهما و النظر الي عناصر الكون بالحس الصادق بعيدا عن التقليد او المتعارف.

3- دراسة معاوية للعقاد في ديوانه "وحي الاربعين" :

لم ترضي معاوية مدرسة الديوان في آرائها النقدية فحسب، إنما أرضته كذلك بإنتاجها الشعري الضخم، رغم توقف شكري بسبب العزلة التي ضربها علي نفسه وبين اتجاه المازني الي النثر (46). و هذا الرضا الذي الذي احس به معاوية تجاه شعراء هذه المدرسة الثلاث، و خاصة العقاد ليس غريباً، لانه نابع في الاصل من محاولاتهم لتطبيق ما دعوا اليه في اشعارهم. فكان ان سيطر عليهم الشعر الوجداني فدعوا الشعراء للاهتمام به و تمثله في اشعارهم (47).

أصدر العقاد مجموعة من الدواوين بلغت النشر كان آخرها " بعد الاعاصير" في 1950 و قبل ذلك كان انتاجه الشعري يتوالي عبر تاريخه الطويل الزاخر. قرأ

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

معاوية ديوان العقاد " وحي الأربعين" بشغفه المعهود في التهام كل ما يصدره العقاد و النظر اليها بعين الاعجاب الشديد. و قد دار المعاوية في نقده لهذا الديوان حول فكرة " القالب " التي قفزت الي ذهنه اثناء مطالعته لهذا الديوان فاعتبرها من اهم مميزات العقاد الشاعر. يقول معاوية (48):- (و لحسن الحظ او لسوئه لا ادري ان هذه الميزة التي انا معجب بها في شعر العقاد و نثره بنوع خاص تكاد تكون الميزة الوحيدة التي لا يكترث لها جماعة الشعراء و الكتاب عندنا، انما اتحدث عن القالب).

أشاد معاوية بقالب العقاد لانه تميز بالصفات التي ارتضاها في القالب الشعري الصحيح من سلامة، و دقة، و صرامة، ووضوح فكري، و جلاء لفظي، اضافة جمال القطع الشعري الذي يزيد من جمال القالب (اقول ان شعر الاستاذ العقاد يكاد ينفرد في الشعر العربي الحديث بجمال القطع الشعري، دقة القالبا الفني و صرامته، فما اعرف احدا من هؤلاء الشعراء استطاع ان يعبر في وضوح فكري، وجلاء مثلما عبر العقاد في موضوعات شعرية لا يسهل فيها الجلاء و الاحكام، و هذا هو السبب الذي يجب ان يمدح لأجله و الذي نعتقد بحق انه اكبر مميزاته نري بعض النقاد يعيبه بان شعره فكر و منطق و ليس فيه عاطفة و احساس. و فات هؤلاء ان اقصي ما يرتجيه الشاعر ان يترجم العاطفة و الاحساس الي لغة الفكر و المنطق) (49).

و يضع معاوية العقاد في منطقة وسط بين الكلاسيكين و المجددين اي الرومانسين ومن تلاهم، فهو في رأيه كلاسيكي حافظ علي الاطار القديم، لكنه مجدد في دعوته التي ناهض بها جمود الشعراء. فقد حاول الايضاح في الفكر و اللفظ و دعا اليه، و كانت نظرته تختلف عن نظرة الكلاسيكيين لانه يري ان

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

الفن لا ينافى دقة العلم، ولا وضوح القصد، انما يقف ثابتاً تجاه العلم و دقة الفكر(50). و ربما كان معاوية يعنى "بالكلاسيكيين" المحافظين ومن حذا حذوهم من الشعراء العرب. لان ثروة العقاد في التجديد ناهضت هؤلاء الشعراء، و ناهض معاوية نفسه الاطار اللفظى، و الخطابي و بساطة التعبير المتبقية عند بعض شعراء عصره بحكم الارث الشعري، ومقاله عن ابي شادي خير شاهد و دليل علي ذلك.

و مضى معاوية بعد ذلك يستشهد ببعض الاشعار من ديوان العقاد شارحا ما تحمله من دقة و صرامة، كان من شأنها الامتاع الذهني الذي دعا له معاوية و اكد ضرورة توافره في الشعر. ومن ذلك قول العقاد في قصيدة الجسم الضاحك (51):-

ثغرك الضاحك لا بل وجهك الضاحك لا بل كل جسمك

لا بـل الدنيـا التي تـــض نـــورا حـــــول نجـمك

هكــذا فليبســم الباســـم ان شـــــاء كبــسمـــك

أو لينـــسي البشـر حتي ينقـــل البشـــر بلثمـــك

لا يــلام العـــابس البائس إلا بعـــد لـومـــــــك

و يعلق معاوية علي هذه الابيات مشيراً الي امكانياتها الواسعة في التعبير رغم قلتها و دقتها. ثم يتحدث عن قصيدة "غزل فلسفي" التي تحمل ـ في زعمه ـ صفات العقاد الشاعر التي تناقض السطحيين. فالقصيدة تعكس تمكن العقاد من قالبه، فهي ملأي بفيض الفكر، ودقة التعبير، ونكهة الشعر، وحدة الإحساس الذي يسهل على القارئ استشافه(25). ثم يستشهد ببعض أبياتها :-

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

إن نفـوني اليــوم مــن دنيــاهم وأباحوا لي من الزاد المــرام

ثم قالــوا ما تشأ منها فخـــــذ قلت هذا، علي الدنيا الســلام

قلــت هذا وتقدمت إلى هـــوة الغيب وفى الثغــر ابتســام

كيف لا يبســم من قبلتـــــه تـنظيم الاوطار طرا في نظام

واذا قبلــته مستــضحكـــاً في تخوم الكـون، والكون سدام

فهــو ســحري بالـذي ودعته واغتابطي بمقامي حيـث قــام

ويرى معاوية في قصيدة " خليج ستانلي "دليلاً كافياً علي شاعرية العقاد، فهي تحفة من الشعر الرفيع، ترضي الإحساس، وفيها مقدرة عالية على التصوير.

وقد أشاد معاوية كذلك بموسيقاها(53). ثم أستشهد منها بقول العقاد:-

قف في سبيلك لحظـــة وانــس الــشقاء وما اقتــرف

حيث الخمــاص ولا طـوى حيث العـراة ولا شظـــــف

وقد علق معاوية على هذين البيتين واصفاً حال القارئ حينما يسمعهما بقوله(54):-

(دهش القارئ لتوفيق الشاعر الغريب في حالتين من صور الحياة، كل منها يبرز الحالة الأخرى ويظهرها في كل معناها ويجسدها).

ثم واصل معاوية أستشهاده بأبيات هذه القصيدة :-

بحر تتابع مـــــــــده والبحــر أعيــا مـن غــرف

زهر تصابك الظمـــــــى منها وحيـــاك الوطـــــف

وعناك من شمم هنــالــك من عناك مـــن الذلـــــــف

ورأيت معسول اللمـــــى قــاني الــشفاه لـــه ازدلــف

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

و النور من بدر سـرى كـالنور في رعـد قصـف

فتن شهـدت زحوفـها كـالجيش أهـول مـا زحـف

فهتفت فليحيا الجمـال وقـد يعاقـب مـن هتـف

هذى معـارض صنـعة لله تبهـر مـن وصـف

ثم قول العقاد في نفس القصيدة :-

كـم ذا رأيت وكـم طعمـت وكـم قنعـت ولا أسـف

أسـرفت حتـى قد عرفـت القصـد مـن هذا السـرف

مـا زال يطمـع مـن رأى مـا زال يطمـع من عرف

ويقف معاوية في ختام حديثه عن هذه القصيدة وقفة المعجب معلقاً على أن كل بيت فيها يدل على توفيق نادر. ثم علق على قصائد هذا الديوان ورأى أن معظمها يمتاز بصرامة الغالب وسعة الإحساس، ومضى يعدد من تلك القصائد "كعبة الأصنام " و "بعد الزلزال " و " عم صباحاً وعم مساء " (55).

وشعر الفكر الذي عرف به العقاد، و الذي أشار إليه معاوية و أشاد به، قدَره العقاد نفسه وأكد عليه في ديوانه الأخير " بعد الأعاصير " (56). أي بعد وفاة معاوية، وهذا يدل على قوة ملاحظة معاوية وتمكنه من أدواته. فقد أشار العقاد في هذا الديوان إلى اهمية عنصر التفكير وأهميته بالنسبة للأدب الرفيع، وقد تميز الشعراء الكبار بهذا النوع أمثال جوته و الخيام وشكسبير و المتنبئ. وذكر أن الفن يعكس ذات الفنان، وطالما أن الإنسان يحس ويفكر، فالأديب الناجح هو من يمتاز بهذه الصفات الإنسانية، إذ أن وجدان الإنسان لا يمنع من التفكير ولا ينتقص من قدرة وأهميته. يقول العقاد (57):- (إن الفن والأدب هو وجدان

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

ولكـنه وجدان إنسان، ولن يكتمل الإنسان بغير أرتفاع في طبقة التفكير، ولن يخلو الأدب المعبر عنه من هذا وذاك، ولا يقاس نصيبه من الحس بمقدار نقصه في التفكير، ولا يقال: إنه أحسن تماماً، لانه يفكر تماما، بل يقال: إن التمام في مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير).

وشعر الفكر الذي تميز به العقاد كان – فيما بعد – سبباً في هجوم مندور عليه، فقد تمنى مندور ألا يتجبر العقاد بعقله بل يطلق لعاطفته العنان مثلما فعل كبار الشعراء الذين كانوا لا يخجلون من ضعف الطبيعة البشرية ولا يأنفون من الشكوى و التلهف. وقد أكد مندور أن العقاد قد تميز بشاعرية ممتازة لكنها لا تبدو واضحة إلا حينما يتخلص من قيود الفكر وتجبر العقل. فشعر العقاد المميز الجيد لم يأت إلا حينما هزمته روح الشعر وصرعته، ولكن ما إن يصرعها حتى يولى الشعر منه فرارا(58).

وهذا يعنى أن مندورا يؤيد اتجاه الشاعر للفيض العاطفي مما ميز نقده بروح نقدية قديمة. أما آراء معاوية حول العقاد والتي قامت على ضرورة الإحساس الفكري، وا رضاء العاطفة المفكرة وتهدئتها، فقد نبعت أصلا من أشتغال معاوية بالفلسفة كما، فناقد كمعاوية لا يرجى منه أن يبتعد بأحساسه عن الفكر. فهو صنو العقاد الذي تجبر بعلقه، واهتم بالفكر وموضوعاته، وربط نقده بالفلسفة، وعمل على تطبيق أرائه النقدية في شعره. لذلك فجمال شعره ارتبط عند البعض بهذه الصفات، ورأى البعض الآخر أن ما يفقد شعر العقاد الجمال هو هذا العنصر. وقد أبدت زينب الفاتح في دراستها لشعر العقاد أن جماله يرتبط بعلاقته الوثيقة بالفلسفة، وذلك في معرض مقارنتها بين قصيدتي العقاد و شقي في قصر "أنس الوجود " وذلك في قولها(59):- (وشعر العقاد جليل وشعر

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

شـوقي جميل في " أنس الوجود " وليس الجميل و الجليل بالمتشابهين فيما يتركانه في النفس من أثر وجداني، فالأول يهز النفس بعاطفة الأعجاب و الثاني يبهر النفس بعاطفة الحب. وفي شعر العقاد جمال تكتنفه الفلسفه لذلك فهو جليل).

هكذا درس معاوية العقاد من خلال ديوانه " وحي الأربعين "مركزا على هذه الميزة التي ذكرها له، وهى القالب. وارتضي فيه أن يكون قالبا فكريا يتوسط بين إرضاء العاطفة وحدها، ولا يرضى الفكر وحده، وقد أستشهد معاوية على فكرته هذه ببعض القصائد، وكنا قد رأينا كذلك أختلاف الدارسين لشعر العقاد حول هذه الميزه ففيهم من أيدها وفيهم من رأى فيها تجبرا وبعدا عن الفيض العاطفي المميز للشعر الجميل. وبين الأتجاهين فان التوسط في الأمر هو الأجدى تمشيا مع الطبيعة الإنسانية، فلابد أن يرضى الشاعر العاطفة ولابد أن يرضى أيضا الفكر.

كانت هذه هي حصيلتنا من دراسة معاوية للشعر و الشعراء، فقد اتخذ لنفسه منهجا قريب الصلة الرومانتيكيين الإنجليز و العرب، وبنى إطاره النظري معتمدا اعتمادا كليا على هذه الدعوة وعلى قراءته في فلسفة الفنون، ولقد لمحنا عنده شيئا مما نادى به مذهب البرناسية أو الفن للفن بأعلانه أن غاية الفن هي الجمال (60) ولكن رغم ذلك فان أفكار الرومانتيكيين سيطرت عليه كثيرا، فتراه يدعو إلى الصدق وا ٍلى شعر الوجدان وغيرها من أفكارهم. ثم رأينا بعد ذلك كيفية تطبيقه لفلسفته هذه على شعراء عصره خاصة، ثم أستفادته من مناهج العقاد وارائه واراء غيره من الأدباء التي صدرت في الصحف فكانت دافعا إلى كتابة مقالات حول هؤلاء الشعراء.

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

الهوامش

1. محمد مندور، قضايا جديدة في أدبنا الحديث، دار الآداب – بيروت 1958م – ص 95.
2. محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي – الحلقة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر (د.ت) ص 122 ، 123 .
3. مؤلفات معاوية محمد نور، جـ 1 دراسات في الأدب والنقد، دار جامعة الخرطوم للنشر (د.ت) ص 71 ، 72 .
4. محمد مندور الشعر المصري بعد شوقي ص 124 .
5. عباس محمود العقاد وا إبراهيم عبد القادر المازني،الديوان جـ2 ، ط2، دار الشعب – القاهرة (د.ت) ص 5 .
6. زينب الفاتح البدوي، دراسة نقدية مقارنة لشعر عباس محمود العقاد، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م ص 63 .
7. دراسات في الأدب و النقد جـ1 ص 198 .
8. نفسه ص 199 .
9. نفسه ص 199 .
10. نفسه ص 198، 199 .
11. أحمد الشايب، أبحاث ومقاولات، مطبعة الاعتماد – مصر1946م ص 17 .
12. دراسات في الأدب و النقد جـ1 ص 199 .
13. نفسه ص 199، 200 .
14. نفسه ص 200.
15. نفسه ص 200.

16. العقاد، مقدمة ديوان شكري، جـ 2 " لآلي الافكار" جمع و تحقيق نقولا يوسف، طبع علي نفقة عبدالعزيز مخيون – دار المعارف – القاهرة 1960م ص203.

17. ابراهيم عبد القادر المازني، حصاد الهشيم، المطبعة العصرية- القاهرة 1924م ص 327.

18. اطلق محمد مندور مصطلح الشعر المهموس في كتابه " في الميزان الجديد" في مقابل الشعر الخطابي.

19. عزالدين الامين، نظرية الفن المتجدد، ط1، مكتبة وهبة 1964م ص 56، 57.

20. زكي مبارك، التصوف الاسلامي في الادب و الاخلاق، جـ2 ط1 مطبعة الاعتماد 1938م ص 428.

21. احمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر 1950م ص 15.

22. عبد الرحمن شكري، مقدمة ديوانه جـ 4 "زهر الربيع" ص290.

23. محمد مندور، مسرحيات شوقي ط4، دار نهضة مصر- القاهرة (د.ت) ص 4، 5

24. محمد عبدالحي مقال نشر بمجلة الدوحة، العدد الرابع، السنة الرابعة ابريل 1979م ص 71. محمد عبد الحي: شاعر و ناقد سوداني كان استاذا للادب الانجليزي بجامعة الخرطوم، نشر مجموعة من القصائد الطويلة منها " العودة الي سنار"،وصدر له قبل وفاته ديوان " حديقة الورد الاخيرة"، وبعد وفاته ديوان "الله في زمن العنف"، و له دراسة عن أثر

مجلة جامعة شندي العدد الثالث (يونيو 2006م) ISSN:1858-571X

الرومانتيكيين الانجليز و الامريكيين في الشعر العربي الحديث. و له دراسة نقدية عن الشاعر التجاني يوسف بشير بعنوان "رؤيا الكلمات". و له مسرحية شعرية بعنوان "رؤيا الملك". و يتميز شعره بالعمق الصوفي و كثافة الرمز. توفي في اغسطس 1989م.

25. دراسات في الادب و النقد ص215.
26. نفسه ص 215.
27. نفسه ص 216.
28. محمد عبدالحي، مقال بمجلة الدوحة ص74.
29. دراسات في الادب و النقد ص 219.
30. طه حسين، حديث الاربعاء، ط 10، دار المعارف بمصر (د.ت) ص152.
31. دراسات في الادب و النقد ص 219.
32. نفسه ص 44.
33. نفسه ص 219.
34. نفسه ص 219.
35. نفسه ص 220.
36. نفسه ص 220.
37. نفسه ص 223.
38. نفسه ص 221.
39. نفسه ص 222.
40. نفسه ص 222.
41. نفسه ص 36.

42. عبدالرحمن شكري، مقدمة ديوانه، جـ4 "لآلي الافكار" ص291.
43. دراسات في الادب و النقد ص221.
44. محمد عبدالحي، مقالة بمجلة الدوحة ص 74
45. نفسه ص 73، 74.
46. محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي ص 55.
47. ديوان شكري، مقدمة جـ1 " ضوء الفجر" ص97.
48. دراسات في الادب و النقد ص 207.
49. نفسه ص 210
50. نفسه ص 208.
51. نفسه ص 210.
52. نفسه ص 211.
53. نفسه ص 211، 212.
54. نفسه ص 212.
55. نفسه ص 213.
56. بعد الاعاصير هو آخر دواوين العقاد، صدر في عام 1950م اي بعد وفاة معاوية بحوالي تسعة أعوام.
57. نقلا عن محمد خليفة التونسي، فصول في النقد عند العقاد، مطبعة دار الهناء الناشر مكتبة الخانجي و مكتبة المثنى0- بغداد (د.ت) ص 83.
58. الشعر المصري بعد شوقي ص 56، 86.
59. زينب الفاتح البدوي، دراسة نقدية لشعر العقاد ص 150.
60. دراسات في الادب و النقد ص 197.